ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Assis. Lect. Iman Abdullah Kareem

College of Education for Human Sciences

Email: emanabdm@uowasit.ed

Keywords:

Woman , Man , Position , Qur'anic Verses.

CC BY

Article info

Article history:

Received 7.Jul.2025

Accepted 26.Aug.2025

Published 25.Nov.2025

The Position Of Woman From the Perspective Of Man In The Light Of the Holy Qur'an

A B S T R A C T

This research addresses The Position of Woman from the Perspective of Man in the Light of the Holy Qur'an, aiming to uncover Qur'anic standards that transcend human perceptions and man-made criteria in evaluating women. It traced the transformation of women's status from marginalization to honor. It adopted the inductive-analytical methodology, analyzing Qur'anic verses related to the woman-man relationship in light of exegetical interpretations, connecting them to historical and social contexts. What distinguished this research, that its avoidance of the commonly discussed rights and duties, instead focusing on the value-based structure of the Qur'anic discourse. It cited examples of both believing and disbelieving women to demonstrate that the Qur'an's criterion of dignity is piety and righteous action, not lineage or proximity to men.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol61.Iss2.4598

مكانة المرأة عند الرجل في ضوء القرآن الكريم

م.م. إيمان عبد الله كريم

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المستخلص:

تناول هذا البحث موضوع مكانة المرأة عند الرجل في ضوء القرآن الكريم، بهدف الكشف عن المعايير القرآنية التي تجاوزت التصورات البشرية والمعايير الوضعية في تقييم المرأة، وتتبع تحوّلات مكانتها من التهميش إلى التكريم، وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، محللًا الآيات القرآنية المرتبطة بعلاقة المرأة بالرجل، في ضوء أقوال المفسرين، وربطها بالسياقات التاريخية والاجتماعية، وتميّز البحث عن غيره بتجاوزه لمسائل الحقوق والواجبات التقليدية، حيث ركّز على البنية القيمية للخطاب القرآني، مستشهدًا بنماذج نسائية مؤمنة وكافرة، ليُبيّن أن ميزان الكرامة في القرآن هو التقوى والعمل الصالح، لا النسب أو القرب من الرجل. وقد خلص البحث إلى أن القرآن كرم المرأة بآيات خالدة، تقوم على العدالة والمساواة والرحمة.

الكلمات المفتاحية: المرأة ، الرجل ، المكانة ، آيات القرآن الكريم.

المقدمة:

لَا دينَ أرقى من الإسلامِ في تكريمهِ للمرأةِ؛ إذ رفع شأنَها، وصان كرامتَها، وخلّد ذكرَها في مواضعَ عدّةٍ في كتابِ اللهِ، وجعل من سيرتِها نهجًا يُحتذى بهِ إلى يومِ الدينِ، فمكانةُ المرأةِ عندَ الرجلِ في القرآنِ لا تقتصرُ على كونِها مجردَ زوجةٍ أو أمٍّ لتؤدّيَ دورًا اجتماعيًا محدودًا، بل هي شخصيةٌ فاعلةٌ في مسارِ الهدايةِ والرسالةِ، شريكةٌ في صناعةِ التاريخِ، ومثالٌ يُقتدى بهِ في الصبرِ والثباتِ والإيمانِ، فها هي أمُّنا (هاجر)، زوج نبيِّ اللهِ (إبراهيمَ) عليهِ السلامُ، تُجسّد مثالَ المرأةِ المؤمنةِ المثابرةِ، التي ساندت زوجَها وآمنت برسالتِهِ، فأحسنت التوكلَ على ربِّها في موضعٍ لا معينَ فيهِ إلا اللهُ، فسطّرت قصتَها في وجدانِ الأمةِ الإسلاميةِ، وصار السعيُ بين الصفا والمروةِ تخليدًا لخطواتِها المباركةِ منذ فجرِ التاريخِ، لتكون رمزًا للصبرِ والعزيمةِ واليقينِ باللهِ .

ومن رحمِ المرأةِ وُلِدَ الهدى، فهذه (مريمُ) ابنةَ (عِمْرانَ) مثالُ العفّةِ والطُّهرِ، وقد امتحنها اللهُ تعالى، فاتهمت في عرضِها، وهو أكثرُ ما يُؤلمُ المرأةَ، وهي أمُّ نبيِّ اللهِ (عيسى) عليهِ السلامُ، فكانت مثالًا للمرأةِ المؤمنةِ الصابرةِ العابدةِ التي تحمي طفلَها (ليخرجَ رجلًا، نبيًا يحملُ رسالةَ اللهِ وكلمتَه ويدعو لها مُذ كانَ في المهدِ صبيًا)، وبقلبِ المرأةِ احتُضِنَت الدعوةُ، وهذه أمُّنا (خديجة) عليها السلامُ في (ليلةٍ) هي الأمةُ بأكملِها، فكان إيمانُها سندًا، وعقلُها دعمًا، ونفسُها طمأنينةً؛ إذ قالت لهُ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم: (واللهِ لا يُخزيكَ اللهُ أبدًا)، وكانت السيدةُ (الزهراءُ) (أمَّ أبيها) فَجسّدت الحنانَ الربانيَّ لحبيبِ اللهِ وسيّدِ الخلقِ أجمعين، وكانت عونًا لزوجِها الإمامِ (عليٍّ) عليهِ السلامُ، وأمًّا لسيّدا شبابِ أهلِ الجنةِ، وتتوالى الآياتُ لتلقي ضوءَها على نساءٍ خلدهنَّ القرآنُ الكريمُ، ليس فقط كشواهدَ للإيمانِ، بل أعلامًا للتغييرِ والتأثيرِ، حملت في طيّاتِها إشاراتٍ عميقةً إلى أن ميزانَ اللهِ هو التقوى والعملُ الصالحُ، لا النسبُ أو الدورُ الاجتماعيُّ، وهنا يكمنُ التكريمُ الإلهيُّ، لمكانةِ المرأةِ عندَ الرجلِ مقارنةً بين حالِها قبلَ الإسلامِ؛ ففي عصورِ الجهلِ ظُلمتْ ووُئدتْ... وبأيّ ذنبٍ قُتلتْ؟ وكانت محتقرةً ومهضومةَ الحقوقِ في أزمنةٍ توالت على ظلمِها واستعبادِها .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في تقديم رؤية لمكانة المرأة عند الرجل في القرآن الكريم، بالنظر إلى النماذج القرآنية للمرأة في عصور الظلام ما قبل الإسلام بين نساء كن لهن شأن عظيم ومكانة كبيرة في مجتمعاتهن، إلا أن إيمانها بالله وأخلاقها هو ما يزن مكانتها عند الرجل ومن هنا كانت هذه الرؤية التي يحاول البحث تقديمها برؤية المرأة الكافرة والمؤمنة في عصور ما قبل الإسلام، ثم ينتقل إلى استعراض نماذج لتحول مكانة المرأة من التهميش إلى الرقي في ضوء مبادئ القرآن الكريم.

إشكاليّة البحث :

ومن هذا المُنطلَقِ، كان اختيارُ موضوعِ هذا البحثِ: "مكانةُ المرأةِ عندَ الرّجلِ في ضوءِ القرآنِ الكريمِ"، ليس لبحثِ الحقوقِ والواجباتِ، فقد أُشبِع هذا الجانبُ دراسةً وبحثًا، بل لتقديمِ رؤيةٍ جديدةٍ في فهمِ النّصوصِ القرآنيّةِ المتعلّقةِ بالمرأةِ، بالنّظرِ إلى التّحوّلاتِ التي أضافها القرآنُ في تكريمٍ لها وارتقاءٍ بمكانتِها الاجتماعيّةِ والإنسانيّةِ، ويعرضُ البحثُ نَماذجَ قُرآنيّةً نسائيّةً مُؤثّرةً من النساء في عصور الظلام، ثم العصر الإسلامي وتأطير مكانتها في ضوء مبادئ القرآن الكريم.

ويتمحورُ البحثُ حول سؤالٍ رئيسٍ :

كيف تناولتِ الآياتُ القُرآنيّةُ مكانةَ المرأةِ عندَ الرّجلِ؟"

"**الأسئلةُ الفرعيّةُ:**

١. ما الملامحُ العامّةُ لمكانةِ المرأةِ عندَ الرّجلِ في العصورِ ما قبلَ الإسلامِ؟

٢. ما أوجهُ التّحوُّلِ لمكانةِ المرأةِ عندَ الرّجلِ في ظلِّ فكرةِ المساواةِ والتكريمِ الربّانيّ في القرآنِ الكريمِ؟

أهداف البحث:

- التّعرُّفُ على تناولِ النّصّ القُرآنيّ لمكانةِ المرأةِ عندَ الرّجلِ في العصورِ ما قبلَ الإسلامِ.
- إلقاءُ الضّوءِ على أوجهِ التّحوُّلِ الذي أحدثَهُ القرآنُ الكريمُ في مكانةِ المرأةِ في ظلِّ فكرةِ المساواةِ والتكريمِ الربّانيّ.

أهمّيّة البحثِ:

أوّلًا: على المستوى المجتمعيّ: يساهم البحث في رؤية مكانة المرأة عند الرجل من التهميش إلى الارتقاء في ضوء الإسلام، بالإضافة إلى السعي في إعادةِ إحياءِ القُدوةِ النّسائيّةِ للمرأة المؤمنة الأصيلةِ كنموذجٍ يُحتذى للتّوازنِ بين علاقتها بربها ودورها الاجتماعي.

"**ثانيًا: على المستوى الأكاديميّ** :إثراءُ الدّراساتِ القُرآنيّةِ بتقديمِ رؤيةٍ مختلفةٍ حولَ مكانةِ المرأةِ عندَ الرّجلِ في ضوءِ القرآنِ الكريمِ، ودعمُ الاتّجاهاتِ العلميّةِ التي تسعى لإعادةِ قراءةِ النّصوصِ القرآنية من خلالِ التّفسيرِ الاجتماعيّ لآياتِ القرآنِ الكريمِ".

منهجيّةُ البحثِ:

"اعتمدَ البحثُ على المنهجِ الاستقرائيّ الموضوعيّ، وذلك من خلالِ تتبُّعِ الآياتِ القُرآنيّةِ التي تناولتْ مكانةَ المرأةِ عندَ الرّجلِ، وتحليلِها في ضوءِ أقوالِ المفسّرينَ، بهدفِ الكشفِ عن دلالاتِها وربطِها بالسّياقاتِ التّاريخيّةِ والاجتماعيّةِ المرتبطةِ بمحاورِ البحثِ".

الدراسات السابقة

"**في دراسةٍ قدّمها (شَهوان، ٢٠٠٦) بعنوان العِلاقة الزّوجيّة في القُرآنِ الكريم،** تناولتِ الدّراسةُ موضوعَ العِلاقةِ الزّوجيّةِ من منظورِ التّفسيرِ الموضوعيّ الاجتماعيّ، حيثُ تتبّعت دلالاتِ المصطلحِ لغويًّا واصطلاحيًّا، وبيّنت موضعَه ضمن البناءِ القُرآنيّ العامّ. وقد ركّزتِ الدّراسةُ على الأسسِ التي يقومُ عليها الزّواجُ بوصفِه سُنّةً كونيّة، موضّحةً حكمَه وضوابطَ اختيارِ الزّوجينِ شرعًا، مثلَ: حقّ المرأةِ في اختيارِ الزّوجِ، وحكمِ زواجِ الكتابيّاتِ، وطرقِ التّحقّقِ من التّوافقِ بين الطّرفينِ. كما ناقشتِ الدّراسةُ أبعادَ العِلاقةِ الزّوجيّةِ من الجوانبِ التّعبديّةِ والأخلاقيّةِ والجنسيّةِ والاجتماعيّةِ، وبيّنتِ الصّفاتِ المُثلى للطّرفينِ، والحقوقَ والواجباتِ المُتبادلةَ، وأحكامَ ما بعدَ انتهاءِ العِلاقة. وتطرّقتْ إلى مشكلاتٍ تهدّد الحياةَ الزّوجيّةَ كغلاءِ المهورِ، والإيلاءِ، والنُّشوزِ، والغَيرةِ، كما ردّتْ على الشُّبهات المثارةِ حول بعضِ النّصوصِ القُرآنيّةِ كالميراثِ وتعدّدِ الزّوجاتِ والقِوامةِ، وخَلُصتْ إلى أنّ القُرآنَ يُقدّم تصورًا شاملًا ومتوازنًا لحمايةِ العِلاقةِ الزّوجيّةِ" (شَهوان، ٢٠٠٦).

"**وفي دراسةٍ بعنوان "المرأة في الخطابِ القُرآنيّ: مواضعُ ودلالاتٌ – دراسةٌ موضوعيّةٌ"**، قدّمتها(أَسْمَهانُ السّعود، ٢٠٢٢)،

حُلّلَت طريقةُ تناول القُرآنِ للمرأةِ من حيثُ المواضع والدّلالات، وخلصت الدراسةُ إلى أنّ الخطابَ القُرآنيَّ يتّسمُ بالعدالةِ والمساواةِ، ويُبرزُ المرأةَ ككيانٍ فاعلٍ في النّسقِ الدّينيّ والاجتماعيّ، مع احترامِ خصوصيّتِها ودورِها في بناءِ الأسرةِ والمجتمعِ" (السّعود، ٢٠٢٢).

" دراسة بعنوان "دور المرأة ومكانتها الاجتماعية في الإسلام وفقاً لتعاليم القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة"

وناقشت الدراسة دور المرأة ومكانتها الاجتماعية في الإسلام، مؤكدة أن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها مرتبة عالية من الكرامة الإنسانية، وساوى بينها وبين الرجل في التكليف بالعقائد والشرائع وفي الجزاء والثواب. وقد استخلصت الدراسة إلى أن الإسلام قد بين أن للمرأة دورًا هامًا في المجتمع الذي تعيش فيه، فهي مسؤولة مسؤولية تشاركية مع زوجها في إنشاء جيل مسلم مؤمن بالله ذو أخلاق سامية، وأن أخلاقيات القرآن الكريم يمكن أن تسهم في إصلاحات قانونية حديثة تدعم العدالة المجتمعية في عصرنا الحالي (إبراهيم، ٢٠٢٣).

دراسة بعنوان "أدوار وحقوق المرأة في العصر الحديث من منظور إسلامي" لرامادينا (٢٠٢٤)

سعت الدراسة لمناقشة أدوار وحقوق المرأة في العصر الحديث من منظور إسلامي، مشيرة إلى أن التقاليد الإسلامية، كما وردت في القرآن والحديث، تؤكد على عدم وجود تمييز بين حقوق الرجل والمرأة، وأن كلا الجنسين يتمتعان بفرص متساوية للنمو الشخصي والمهني في مختلف الأدوار المجتمعية. وقد استخلصت الدراسة إلى أن التحديات والعقبات التي لا تزال تواجهها المرأة في الوصول إلى فرص تعليمية واقتصادية متساوية تتشكل بفعل التفاعل المعقد بين الأعراف الاجتماعية والتفسيرات الدينية المحافظة والتحديات الاجتماعية والثقافية والهيكلية، مؤكدة على ضرورة معالجة هذه العوائق وتفكيك الحواجز الهيكلية لتحقيق المساواة الكاملة بين الجنسين. (Ramadhina, 2024)

دراسة بعنوان "دور ومكانة المرأة في الأسرة وفقًا للشريعة الإسلامية: دراسة نقدية للممارسات المعاصرة" قدمها داهاريس **في عام ٢٠٢٣.**

ناقشت الدراسة فحصًا دقيقًا لأدوار المرأة داخل الأسر الإسلامية من خلال تحليل تقاطع العقيدة الإسلامية والممارسات المجتمعية الحديثة. وقد استخلصت الدراسة إلى أنه بينما تؤيد الشريعة الإسلامية بطبيعتها المساواة بين الجنسين، فإن تطبيقها العملي غالبًا ما ينحرف بسبب التفاعل بين العادات الثقافية والتقاليد المحلية، وأن الممارسات الثقافية والتفسيرات الإقليمية للشريعة الإسلامية قد همّشت تاريخيًا أدوار المرأة في التسلسلات الهرمية الأسرية، مشددة على ضرورة الإصلاح التعليمي والدعوة التي تُعزز التوفيق بين المبادئ الدينية والمعايير الجنسانية المعاصرة. (Daharis, 2023)

تُظهر هذه الدراسات الحديثة، سواء العربية أو الأجنبية، تركيزًا واضحًا على مكانة المرأة في الإسلام من منظور قرآني واجتماعي، تتفق معظمها على أن الإسلام يكرم المرأة ويساويها بالرجل في الحقوق والواجبات الأساسية، مع التأكيد على دورها الفاعل في بناء الأسرة والمجتمع. كما تُبرز الدراسات التحديات التي تواجه المرأة بسبب التفسيرات الخاطئة أو الممارسات الثقافية التي لا تتوافق مع جوهر الشريعة، وتدعو إلى إصلاحات تعليمية واجتماعية لتعزيز المساواة الحقيقية.

المبحث الأول: نماذج قرآنية لمكانة المرأة عند الرجل في العصور ما قبل الإسلام

أولًا: نماذج قرآنية للنساء المؤمنات ومكانتها عند الرجل.

تناولت الآيات القرآنية نماذج للمرأة المؤمنة ومكانتها عند الرجل في أزمنة قبل الإسلام، ومنها صورة (آسيا بنت مزاحم) التي ورد ذكرها ليحمل لنا نسائم البركة واليمن، فقد حفظت إيمانها وكانت حصن منيع لنبي الله موسى، وسبباً في حفظه من القتل، ونجدها تواجه فرعون وتشفع له في قوله تعالى "﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ١١﴾ [التحريم: ١١]، قال الطوسي " و قوله «إِذْ قٰالَتْ» أي حين قالت امرأة فرعون داعية الله ، «رَبِّ اِبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي اَلْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي» أي :و خلصني «مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ» يعني من مثل سوء عمله «ونَجِّنِي مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِينَ» يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله واستحقوا لذلك العقاب" (الطوسي، د.ت، ج ١٠، ص ٥٣).

"ونحن هنا أمامَ امرأةٍ نادرةٍ، إنّها دُرّةُ الملكاتِ وسَيّدةُ نِساءِ عصرِها، وهي رمزُ التضحيةِ والصبرِ؛ إنّها آسِيَةُ بنتُ مُزاحِم، امرأةُ الطّاغيةِ فِرعَون، وأُمُّ الرّحمةِ التي نُقِشَ اسمُها في سِفْرِ الخالِدات، آسِيَةُ، رحمَها الله، لم تَكُن زوجةً لرَجُلٍ عاديٍّ، بل كانت زوجةً لأعتى طُغاةِ الأرضِ، ومَلِكَةً على عَرشٍ مِن ذَهَبٍ تُحيطُهُ خَزائنُ لا تُحصى منَ المُجوهراتِ والكُنوزِ، كانت تَعيشُ في قَلبِ الحضارةِ الفِرعَونيةِ، وإذ يُشارُ إلى القُصورِ بالبَنانِ، ويُعبَدُ المَلكُ مِن دونِ اللهِ، ومَعَ كلّ هذا البَذخِ الذي أحاطَ بِها، اختارت آسِيَةُ دَربَ الإيمانِ، فآمنَتْ بموسى عليهِ السّلامُ، وفي «مجمَعِ البَيان» وَقيلَ إنّها لَمّا عايَنَتِ المُعجِزَ مِن عَصا مُوسى وغلَبَتِهِ السَّحَرةَ أسلَمَت، فَلَمّا ظَهَرَ لفرعونَ إيمانُها نَهاها، فأبَتْ، فأُوتِدَ يَدَاها ورِجلَاها بأربعةِ أوتادٍ، وأُلقِيَتْ في الشَّمسِ، ثُمّ أَمَرَ أن يُلقى عليها صَخرةٌ عَظيمةٌ، فَلَمّا قَرُبَ أجلُها «قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ»، فَرَفَعَها اللهُ تعالى إلى الجَنّةِ، فَهِيَ فيها تأكُلُ وتَشرَبُ. قِيلَ إنّها أَبصَرَتْ بيتًا في الجَنّةِ مِن دُرّةٍ، وانتَزَعَ اللهُ روحَها، فأُلقِيَتِ الصّخرةُ على جَسَدِها وليس فيهِ روحٌ، فَلَم تَجِدْ ألمًا مِن عَذابِ فِرعونَ، وقِيلَ إنّها كانت تُعذَّبُ بالشّمسِ، وإذا انصرفوا عنها أظلَّتْها الملائكةُ، وجُعلتْ تَرى بيتَها في الجَنّةِ، «ونَجِّني مِن فرعونَ وعَملِهِ» أي دينِهِ" (الطبرسي، ١٩٩٥، ص ٦٣).

ولقد لُقبت آسيا بـ"أقوى امرأة في التاريخ" وهذا لا يستند فقط إلى موقفها البطولي في وقوفها بثبات في وجه الظلم والطغيان ومواجهة فرعون الذي بلغ من تجاوزه حد التألُّه فقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ بل يكمن في انتصارها على ذاتها ليتجلّى جوهر قوة الإيمان التي تمكّن الإنسان من تجاوز شهواته ومغريات الدنيا، وتحرره من سطوة الذات قبل سطوة الآخرين، أي إن انتصار آسية لم يكن فقط على فرعون، فقد انتصرت على نفسها حتى تخلت عن مكانتها عند زوجها (فرعون) فباعت دنياها من أجل آخرتها، وتركت الملك والترف و السلطة لا عن عجزٍ أو قهر، بل عن وعيٍ وبصيرة، ابتغاءَ لرضا ربها وسعيًا لبيتٍ عنده في الجنة، وهكذا خُلّدت سيرتها مثالاً سامقًا للثبات والعزيمة والإخلاص (التُرباني، ٢٠١٠، ص ٢٨٤).

وهذا نموذج آخر لصورة المرأة الصالحة والمؤمنة في أبهى تجلياتها، (امرأة عمران) إذ بادرت بنذر جنينها وهو في بطنها، أن يكون خالصًا لله، محررًا من زبد الدنيا، فقالت: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آل عمران: ٣٥]"، ويرى الطباطبائي أن نذر امرأة عمران ليس مجرد نذر عادي، بل هو تعهدٌ قلبي عميق بأن تكرّس ابنها (مريم) لخدمة الله في بيت المقدس. وهو نذر لم يقتصر على الولادة فقط، بل يشمل الإخلاص الكامل في التربية والخدمة. ويؤكد أن إيمان المرأة في هذه الآية يظهر بوضوح في تكريس ذاتها وذرّيتها لله . (الطباطبائي،١٤١٧، ج٣، ص ٧٦،٧٧)".

كما يبرز الدور الروحي الكبير الذي كانت تضطلع به المرأة المؤمنة حتى قبل الإسلام، باعتبارها شريكًا في بناء مجتمع طاهر مرتبط بالله، وأشار الطبرسي إلى حالها "عند وضعها لمولودتها مريم، بدا حزنها لأنها كانت ترجو مولودًا ذكرًا ليقوم بخدمة بيت الله، لكن الله عز وجل صحح المفهوم ورفع من مقام الأنثى، فلما ولدت أصابها شيء من الحزن والخجل، فقالت منكسرة الرأس:﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ [آل عمران: ٣٦] وقد عبّرت عن هذا القول لا اعتراضًا على قضاء الله، وإنما تحسرًا لما كانت ترجوه من المولود الذكر. فجاء الرد الإلهي مباشرة في الآية ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ [آل عمران: ٣٦]، أي أن الله يعلم عِظم شأن هذا المولود الأنثى، وما سيكون لها من مكانة وقدر، مما لم تكن الأم تدركه حينذاك، وتجدر الإشارة إلى أن اسم "مريم" في لغتهم يعني "العابدة"، في دلالة على طبيعة هذه الشخصية المقدسة التي اصطفاها الله، ولله في خلقه حكمة، فجعل في الأنثى –مريم– ما يتفوق على الذكر في هذا الموضع، فهي التي سيأتي من نسلها نبي من أولي العزم. وفي الآية دلالة على أن التفاضل ليس في الجنس وإنما في القرب من الله (الطبرسي، ١٤١٨، ج ١، ص٢٨٠)".

وقالت كما ورد في قوله تعالى: "﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] وذكر الطوسي أن استدعاء الحماية الإلهية لها ولذريتها والحماية من الشر والوساوس دليل على الإيمان العميق والتوكل على الله، فجاء الجواب الرباني تكريمًا لهذه الأم المؤمنة وابنتها الطاهرة: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] أي نشأت نشأة مباركة في الجسد والدين والأخلاق (الطوسي، د.ت، ج٢، ص٤٤٣)".

وقال مغنية في تفسير﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] أنها نشأت على الخلق الكريم، وطاعة الله وعبادته، فلما بلغت التاسعة من عمرها صامت النهار، وقامت الليل، حتى أربت على الأحبار.. وكان يدخل عليها زكريا فيجد عندها رزقاً من الله فيتعجب، و قيل: لم تجر عليها خطيئة، فاطمة و مريم: و حدث مثل هذه الكرامة لسيدة النساء فاطمة بنت رسول الله (ص) ، أما قوله تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧] أي كلّف الله برعايتها نبيًا من أنبيائه، زكريا عليه السلام، ليكون ذلك شاهدًا على تقدير الرجل المؤمن للمرأة المؤمنة (مغنية،١٩٨٧،ج ٢، ص٥٠)، وهو تكفل قائم على الرعاية الروحية والمعنوية، وهنا يُظهر زكريا تقديره لمكانة مريم وتقواه أمام كرامتها، وهي المرأة الوحيدة التي ذُكرت باسمها في القرآن الكريم، وسُمّيت سورة كاملة باسمها، في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ٤٢﴾ [آل عمران: ٤٢]" "وعندما تلقت مريم البشارة بعيسى، تعجبت وقالت:﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا٢٠﴾ [مريم: ٢٠] فكان استغرابها لا اعتراضًا، بل تعجّبًا وقد أجابها الله: "﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٢١] فجاء هذا الردّ الإلهي يرسي قاعدة إثبات قدرة الله المطلقة، وأن خلق الإنسان ليس رهينًا بأسباب مادية بحتة، بل بإرادة الله التي لا تعجزها السنن (الطباطبائي،١٤١٧، ج١٤، ص ١٧)".

"وحين أشارت مريم لقومها أن يكلّموا وليدها، استغرب القوم من هذا المشهد غير المسبوق، نُكَلِّمُ مَن كَانَ ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا٢٩﴾ [مريم: ٢٩] فجاءهم الرد من الطفل عيسى عليه السلام نفسه، مبيّنًا مقامه الحق، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا٣٠﴾ [مريم: ٣٠]، فابتدأ خطابه بإعلان عبوديته لله، نافيًا بذلك ما ستدّعيه النصارى لاحقًا من ألوهية له. ثم أضاف: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا٣١﴾ [مريم: ٣١] أي أن البركة مصاحبة له أينما حلّ، لما يحمل من النفع، والدعوة، والتعليم، ولمن خالطه نال من هذه البركة. ثم أبان التزامه بأوامر الله فقال: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا٣١﴾ [مريم: ٣١]، أي أن العبادة ملازمة له طيلة حياته، دلالة على دوام الطاعة والاستقامة. ثم أشار إلى بره بأمه، فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا٣٢﴾ [مريم: ٣٢] ليؤكد بذلك على المعنى التربوي والأخلاقي العميق الذي يحمله خطابه منذ ولادته، أي أمرني أن أكون بارًّا وعارفًا بحقها وموقّرًا مكانتها، فهي من أولى الناس بالإحسان والرحمة، لما لها من فضل وشرف" (السعدي، ٢٠٠٠،ج ١،

ص٤٢٩) ، وهنا يظهر تكريم القرآني بإعلاء مكانة مريم عليها السلام، وهذا النص القرآني يبرز مكانة المرأة على أساس الاحترام والإجلال، لا على الانتقاص أو التبعية ويبيّن أن أعظم الأنبياء بُعثوا من أرحام نساء مؤمنات، ما يعكس علو مكانتها في الرسالة الإنسانية والربانية.

"**أما نموذج الأم والزوجة المؤمنة** التي آمنت برسالة زوجها وأطاعت ربها ، فهذه هاجر زوج إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام ، ونجد الخطاب القرآني على لسان نبي الله إبراهيم، في قول الله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي: عندما ترك إبراهيم عليه السلام أهله وسار مبتعدًا عنهم، وصل إلى جبل كداء في منطقة ذي طوى، ثم التفت إلى ربه مبتهلاً بالدعاء ثم مضى في طريقه، تاركًا هاجر وابنها عليهما السلام، ومع شدة الحر وارتفاع الشمس، اشتد العطش على إسماعيل عليه السلام، فبحثت أمه هاجر عن الماء، وبدأت تسعى في الوادي بين جبلي الصفا والمروة، وهي تنادي إن كان هناك أحدٌ يسمع أو يأنس. وبدأت بالصعود إلى جبل الصفا تترقب، فرأت سرابًا في الوادي وظنته ماءً، فنزلت مسرعة إليه، ثم اختفى عنها إسماعيل، فواصلت السعي حتى وصلت المروة، وهناك لاح لها السراب مرة أخرى فعادت إلى الصفا، وهكذا فعلت سبع مرات، وفي الشوط السابع، وعندما كانت على المروة، نظرت إلى ابنها فإذا بالماء يتفجر من تحت قدميه، فعادت إليه مسرعة، وجمعت الرمل حول الماء السائل لتجمعه وتحبسه، فسُمي هذا الماء "زمزم" لأنها زمّت عليه، أي جمعت التراب من حوله لتحفظه، وعن الإمام الصادق عليه السلام أن إسماعيل دفنها بالقرب من الكعبة، حيث يُعرف اليوم بحجر إسماعيل" (البحراني، ج ١، ص ٣٣١) .

"في ضوء النماذج القرآنية التي استعرضناها للنساء المؤمنات، وهذه الصور إنما تعبّر عن تكريم المرأة وإبراز مكانتها عند الرجل من منظور قرآني، على اختلاف أدوارها؛ كزوجة، وأم، وابنة، وشريكة في بناء القيم والمجتمع الإيماني، كما إن هذه النماذج التي خُلّدت في القرآن الكريم ليست سردًا تاريخيًا فحسب، بل هي توجيه رباني لتثبيت مفاهيم إنسانية وأخلاقية، تعكس العلاقة المتوازنة والمقدّرة بين الرجل والمرأة، في ضوء الإيمان والعمل الصالح، فالمرأة في هذه النماذج، لم تكن في موضع التبعية أو الهامش، بل كانت في موضع المبادرة والثبات، ومصدرًا للتأثير الإيماني والروحي في حياة الأنبياء والرجال من حولها.

اللطائف التربوية والعبر القرآنية

- "**القُوّةُ الإيمانيّةُ للمرأةِ ومكانَتُها في قلبِ الرّجلِ المُؤمِنِ:** يَتَجَلّى ذلكَ بوضوحٍ في نَموذجِ (آسيةَ بنتِ مُزاحِم)، الّتي واجهَتْ طُغيانَ (فرعون) بقلبٍ مُؤمنٍ، فاستحقَّتْ أن يُضربَ بها المَثَلُ لِلّذينَ آمَنوا، ولتكونَ نَموذجًا يُخلَّدُ في القُرآنِ، دلالةً على أنَّ مكانةَ المرأةِ لا تُقاسُ بقرابتِها من الرَّجُلِ، بل بثباتِها على الحَقِّ، وقدرتِها على التَّحدّي في سبيلِ اللهِ.
- "**تَقديرُ المرأةِ الصالحةِ من قبلِ الأنبياءِ والرَّجُلِ الصالحِ:** كما هو ظاهِرٌ في نَموذجِ (مَريمَ) عليها السلام، فقد كفَلَها نبيُّ اللهِ (زكريا)، وأظهرَ تقديرًا بالغًا لها، واحترامًا لمكانتِها الرُّوحيّةِ والإيمانيّةِ، وهو تقديرٌ نابِعٌ من فَهمٍ قرآنيٍّ لموقعِ المرأةِ في مشروعِ الهدايةِ، ومكانتِها عندَ اللهِ".
- "**دَورُ الأُمِّ المؤمنةِ في نَشأةِ الأجيالِ المُباركةِ:** في قِصّةِ امرأةِ (عِمران)، تتجلّى عَظمةُ نيّتها في نَذْرِ المولودِ للهِ، وحِرصِها على تنشئةٍ طاهرةٍ، وهذا يُعَبّرُ عن مكانةِ الأُمِّ كركيزةٍ في تربيةِ الأنبياءِ والعُظَماءِ، ويُؤكّدُ أنَّ الرَّجُلَ الصّالحَ يُدرِكُ أثَرَ المرأةِ المُؤمِنةِ في بناءِ مستقبلِ أمّتِه".
- "**المرأةُ شَريكةٌ في التّضحيةِ من أجلِ العقيدةِ:** كما في نَموذجِ (هاجَر)، الّتي أطاعتْ أمرَ زوجِها (إبراهيمَ) عليه السلام، وتَحمّلتْ مَشَقّةَ البُعدِ والجوعِ والعطشِ، فانبعثَ من صبرِها ماءُ (زمزم)، وتحوّلَ سَعْيُها بينَ (الصّفا) و(المروة) إلى شَعيرةٍ خالدةٍ من شَعائرِ (الحجِّ)، فكانتْ شريكةً في بناءِ الأُمّةِ الإبراهيميّةِ، وقدوةً في الطّاعةِ والرّضا واليقينِ، وهذا ما

يجعلُها عظيمةً في قلبِ رجلٍ مثلِ (إبراهيم) عليه السلام، نبيِّ اللهِ وخليلِه.

- **"المرأةُ الصالحةُ مَصدرُ البركةِ في حياةِ الرَّجُلِ:** ويتجلّى هذا في تَكريمِ (مَريم) عليها السلام، الّتي أنجبتْ نبيًّا مُباركًا، وفي مقامِ (آسية)، إذ كانتْ شفيعةً للطّفلِ الضّعيفِ أمامَ جبروتِ زوجِها، وملاذًا لنبيِّ اللهِ (موسى) عليه السلام".

ثانيًا: النظرة القرآنية للمرأة الكافرة ومكانتها عند الرجل.

"من أَمثلة النّساء المُتجبّرات في عصرِها، كانتْ (زُليخةُ) امرأة العزيز، وتتناول الآية الكريمة: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٢٣] مَشهَدًا من قِصة (يُوسُفَ) عليهِ السّلام، إذ تُستخدمُ كلمةُ «راوَدَتْهُ» للدّلالةِ على أنّ امرأةَ العزيزِ حاولَتْ إغواءَه بطريقةٍ فيها مكرٌ وإصرارٌ، وهي كلمة في غاية التهذيبِ في التّعبير، رغمَ ما تَحمِلُه من دلالة واضحة. وعند قولِه تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: ٢٣] إنّ استخدامَ (غَلَّقَتْ) بدلاً من (أَغلَقَتْ) يُوحي بشدّة الانفعال، وكأنّها في لحظةِ انفعال تُغلِقُ بابًا بعدَ بابٍ، في مَشهد يُوحي بالاضطرابِ والتّوتر، رغمَ أنّ هذا التّفريق اللّفظيَّ ليس محلَّ اتفاق، ولكنّه يُظهِر الصّور الجمالية في التّعبير القرآنيّ" (مغنية، ١٩٨٧، ج ٤، ص ٢٢٩–٣٠١)".

"ها هو فتىً صغيرٌ ساقَته المقاديرُ بخُطى العنايةِ إلى قصرِ العزيزِ، تَعلوهُ سيماءُ العُبوديّةِ، وتُحيطُ به ملامحُ الرّقِّ، لم يُسألْ سوى عن اسمِه، ولعلّه لم ينطِقْ إلّا قائلًا: "أنا يُوسُف"، أو لعلّهم نَسبوا إليه ذلك القولَ، ولم تُفصحْ لهجتُه إلّا عن نشأتِه في بيتٍ من بيوتِ العِبرانيينَ، أمّا نَسَبُه فظلّ طَيَّ الكِتمانِ، إذ لم يكن مألوفًا أن يُحفَظَ للعبيدِ نَسَب أو يُعترف لهم بأصل، وكان ساكنًا، مختومًا على لسانِه، تُضمر نفسُه من الكلامِ ما لا يُقالُ، وتَختزنُ روحُه من القصصِ ما لم يُروَ، حتى مرّتْ سنوات طوال، ولم يُعرَف نَسَبه إلّا حين قال في مَحبَسِه لصاحبَيه: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨] ولم يُظهِر شيئًا من حقيقةِ إيمانِه وتوحيدِه بينَ أولئك الوثنيين إلّا تَلميحًا عابرًا في رده على امرأةِ العزيزِ حين قالت له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، فقال: ﴿ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣] (الطباطبائي، ١٤١٧، ج ١١، ص ١٠١–١٠٧)".

"إنّه لم يقُلْ: "أَعوذُ باللهِ منكِ"، بل قال: «مَعاذَ اللهِ»، مُجَرَّدة، خالصة، لا يرى في الموقفِ أحدًا سوى ربّهِ. وهذا فرقٌ عظيمٌ بينَه وبين (مَريمَ) حين تمثّل لها الملَكُ، فقالت: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا١٨﴾ [مريم: ١٨] أمّا يُوسُفُ فلم يكنْ في قلبِه مُتّسعٌ لغيرِ اللهِ، ثم أتبع ذلك بقولِه: ﴿ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣] فكَشف بذلك أنّ الإحسانَ الّذي يراهُ من العزيزِ هو في حقيقتِه إلّا من فعلِ ربّه، وأنّ اللهَ وحدَه هو مَن تَولّى أمرَه، وإنْ نُسِب ظاهرُ الأمرِ إلى العزيزِ وزوجتِه. فهو يرى يدَ اللهِ في كلِّ جميلٍ، ونسبَ الأمورَ كلَّها إليه وحدَه، ونأى بنفسِه عن الظّلم، لأنّه يعلمُ أنّ الظّلم لا يُفلح صاحبُه، ولا يصل إلى مقامِ الأمنِ والهُدى، كما قالَ جدُّه إبراهيمُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢] بهذا المنطقِ يتجلّى التّوحيدُ في أصفى صُوَرِه: قلبٌ لا يرى سوى اللهِ، وعينٌ لا تلتفتُ إلى غيرِه، ونفسٌ نقيّة طاهرة لا تدّعي حولًا ولا قوّة، ولا تتوسّل إلّا بالاستعاذةِ بالله، لا بذكرِ النفسِ ولا بالمقارنةِ، بل بالخضوعِ المُطلقِ للهِ وحدَه (الطباطبائي، ١٤١٧، ج ١١، ص ١٠١–١٠٧)".

"وفي وقتٍ انهارت فيه كثيرٌ من العقول أمامَ شهوات الجَسد، أثبتَ (يُوسُفُ) عليه السّلامُ أنّ الإنسانَ ليس أسيرًا لغريزةِ الجنسِ، كما ادّعى (فرويد)، ولا عبدًا للمالِ، كما زَعم (ماركس)، بل هو مخلوقٌ تُحرّكه دوافعُ متعدّدة: منها الخيرُ والشّر، والدّني والعقل، والعاداتُ والقِيَم، والتّربية والمجتمع، فالإنسانُ يعيش بين قُوًى مُتضادّةٍ، وقد يتغلّب أحدُها على الآخرِ، أو يبقى الصّراع قائمًا طيلةَ حياتِه، فتراهُ حائرًا بين جاذبيّة الشّهوةِ ونداءِ الإيمانِ والضّميرِ (مغنية، ١٩٨٧، ج ٤، ص ٢٢٩–٣٠١)."

قال الشيرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]، "تشير هذه الآية إلى أن إبعاد السوء والفحشاء عن يُوسُف عليه السلام لم يكن أمراً عشوائياً، بل كان نتيجة لإخلاصه، وتقواه، وإيمانه، وطهارة قلبه من الشرك، مما جعله أهلاً للعون الإلهي. وحين اشتدت مقاومة يُوسُف عليه السلام لامرأة العزيز، يئست منه فلجأ للهروب، لكنها لحقت به ومزّقت قميصه من الخلف، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ﴾ [يوسف: ٢٥] وما إن فتح يُوسُف الباب حتى فوجئا بعزيز مصر، فقالت المرأة تحاول قلب الحق باطلًا: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ٢٥﴾ [يوسف: ٢٥] مدعية عليه التهمة دون أن تذكر اسمه، بل صاغتها وكأنها أمر مسلّم، في محاولة منها للتأثير على مشاعر الغيرة لدى زوجها. ولكن يوسف، وقد أدرك أن السكوت خيانة للحق، قال: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ۚ﴾ [يوسف: ٢٦] وهنا تدخل شاهد من أهلها ليقطع الشك: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ٢٦﴾ [يوسف: ٢٦] وبما أن القميص قدّ من الخلف، فقد ظهر الصدق وتجلّى كيدها، وحين رأى العزيز ذلك، قال مذهولاً ﴿ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] ثم سعى لاحتواء الفضيحة، فقال ليوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ﴾ [يوسف: ٢٩] وأمر زوجته بالاستغفار قائلاً: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ٢٩﴾ [يوسف: ٢٩] ، في إشارة إلى إقراره بخطئها وحرصه على كتمان الأمر خوفاً على سمعته وسلطته في مصر. تفسير الأمثل (الشيرازي، د.ت، ج٦،ص٢٦٦-٢٧٦)".

"وقال الطبرسي في مجمع البيان: "قال الملك:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ﴾ [يوسف: ٥٠] أي أحضروا يُوسُف الذي عبر رؤياه. "فلما جاءه الرسول" يدعوه، امتنع يُوسُف عن الخروج حتى تظهر براءته، وقال:﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ﴾ [يوسف: ٥٠] أي اسأله عن حالهن ليعلم براءتي مما نُسب إليّ. وتجنب ذكر امرأة العزيز وحدها تأدباً، فجمعها مع النسوة، ثم قال: :﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ٥٠﴾ [يوسف: ٥٠] أي عالم بما دبّرن وقادر على إظهار براءتي، أبلغ الرسولُ الملكَ بكلام يوسف، فجمع النسوة وسألهن: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ﴾ [يوسف: ٥١] فقلن: ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٥١] ، أي نزّهْنه وأقررن ببراءته من كل خيانة، وأنه حُبس ظلمًا، وقالت امرأة العزيز: ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ٥١﴾ [يوسف: ٥١] فاعترفت بكذبها، وأقرت بصدق يوسف، وقد حملها على الاعتراف انقطاع طمعها منه. ثم قال يوسف: "ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب"، أي أردت أن يعلم العزيز أو الملك أنني لم أخنه في غيبته، ولم أرتكب ما نُسب إليّ. فجمع الله ليوسف بين شهادة النسوة وإقرار امرأة العزيز، فظهرت براءته كاملة (الطبرسي، ١٩٩٥، ج ٥، ص ٤١٤)".

"تُظهر قصة يُوسُف وامرأة العزيز لتجسد صورة المرأة التي استحوذ الشيطان عليها حتى أُفتتنت بربيبها، وكيف يمكن أن تمتلك سلطة ونفوذاً كبيراً، واستغلت هذه القوى، للسعي في إخضاع الرجل لرغباتها، بالحيلة والمكيدة كما في قوله: ﴿ ي ي ٻ ٻ ٻ ٻ ٢٨﴾ لكنها في المقابل، حين واجهت طهارة يُوسُف وإيمانه، انهارت واعترفت بالحق، مما يدل على أن المرأة رغم قوتها، قد تضعف أمام صدق الرجل وتقواه. وتكشف القصة في مجملها عن تأثير المرأة ومكانتها في حياة الرجل، سواء في الفتنة أو الاعتراف بالبراءة".

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ١٠﴾ [التحريم: ١٠] "وهنا نموذجٌ من نماذج الكُفر، يتمثّل في امرأتَي نبيّين عظيمَين، نوح ولوط عليهما السلام، كما جاء في الآية الكريمة، أنهما خانتا خيانةً في الدين، ولم تُؤمنا برسالتيهما. ورغم أن القرابة بينهما وبين نبيّين صالحين كانت قائمة، إلا أنّ هذه الصِّلة لم تغنِ عنهما شيئًا من عذاب

الله، بل قيل لهما: ادخلا النار مع من سبقكما من أهل الكفر والطغيان، وتدلّ هذه الآية على أن الانتماء الحقيقي لا يكون بالنَّسب، وإنما بالإيمان والعمل، وقد بيّن الطبرسي في مجمع البيان أن الخيانة المذكورة في الآية ليست خيانةَ عرضٍ أو فجور، بل هي خيانةٌ دينيّة، إذ إنّ المرأتين لم تَصْدُقا مع زوجيهما، ولم تُؤمنا بدعوتهما، بل كانتا تُساعدان أعداء الله، فكانت امرأة نوح تدلّ قومها على المؤمنين سرًّا، وكانت امرأة لوط تشير إلى ضيوف زوجها ليقع بهم قومه في الفاحشة، ولذلك استحقّتا العذاب مع الكافرين" (الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٤٧٨).

"وقد ورد في تفسير القمي أن امرأتي نوح ولوط عليهما السلام كانتا تُظهران الولاء والطاعة، بينما تُخفيان الكفر والنفاق، فقد كانت امرأة نوح تطعن في زوجها بوصفه بالجنون، في حين كانت امرأة لوط تكشف أمر الضيوف وتشي بهم إلى قومها، زاعمة أنهم بشر وليسوا ملائكة. وهذه الصورة تُعدّ من أبلغ تجليات النفاق، إذ تتجسّد فيها الخيانة لا في الظاهر وحده، بل في أعماق النية والعقيدة، وفي الموقف الخفيّ من دعوة الحق"(القمّي، ج٢، ص٣٦٧).

"أما العلّامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان)، فقد أفاض في شرح هذا التمثيل القرآني، مبيّنًا أن الانتماء إلى بيت النبوة لا يُعدّ بذاته سببًا للنجاة، ما لم يقترن بالإيمان والعمل الصالح، وأن كفر المرأة لا يعصمها من العذاب، ولو كانت في عصمة نبيّ من أنبياء الله. وبيّن أن الخيانة المذكورة في الآية ليست خيانة زوجية بالمعنى الأخلاقي، وإنما هي خيانة للدين والرسالة، تمثّلت في الوقوف ضد دعوة الحق والتآمر عليها. ويرى الطباطبائي كذلك أن هذا التمثيل ينطوي على إنذار خفي لنساء النبي ﷺ الوارد ذكرهنّ في مطلع السورة، يحذّرهُنَّ من الاغترار بالقرب من شخص النبي، ويؤكّد أن النجاة لا تتحقّق بالقرابة، بل بالإيمان الصادق والعمل المخلِص." (الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ج١٩، ص٣٣٩)."

"ومن خلال هذا التمثيل القرآني، يظهر أن من معاني الخيانة التي ذكرتها الآية هو خيانةُ العقيدة، ولو كانت من داخلِ بيتِ النبوّة. فامرأتانِ كانتا أقربَ الناسِ إلى الأنبياءِ في الظاهر، لكنّهما كانتا أبعدَ الناسِ عن مضمونِ الرسالة، فاستحقّتا بذلك أن تكونا من الهالكين، وتدلّ عبارةُ ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ١٠﴾ [التحريم: ١٠] على أن النّسب والصّحبة لا تقي منَ العذاب، إذا تجرّدَ صاحبُها منَ الإيمان، وتُؤكّدُ أنَّ الحسابَ فرديّ، وأنّ المسؤوليةَ على العبدِ وحدَه، كقولهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ٣٤﴾ [عبس: ٣٤]"

"ولهذا فإنّ هذا المثالَ القرآنيَّ يحمل رسالةً لكلِّ مَن يركنُ إلى موقعِه الاجتماعيّ أو قرابتِه من أهلِ الفضلِ والدّين، ألا ينفعَه ذلكَ عند اللهِ إن لم يكنْ على الإيمانِ والطاعة. وقد يكونُ هذا هو السّرَّ في ختمِ الآيةِ بقولهِ تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ١٠﴾ [التحريم: ١٠]، أي بلا تمييز، فكأنّ قرابتَهما منَ الأنبياءِ لم تكنْ سوى زيادةٍ في الحجّةِ عليهما، لا منقذةً لهما."

"تُظهر أمثلة (امرأتَي نوحٍ ولوطٍ) و(امرأةِ العزيزِ في قصّةِ يُوسُف ﷺ) أنّ المرأةَ في عصور ما قبلَ الإسلام، رغمَ قربِها من رجال ذوي مكانة (نبيّ أو ملك)، لم تُمنح قيمة ذاتيّة إلا بحسبِ موقفِها الأخلاقيّ والعقائديّ، لا لمجرّدِ قرابتِها بالرجل، أي أنّ هذه النماذجَ لنساءٍ كافراتٍ أو خاطئاتٍ، لم يشفعْ لهنَّ الزواجُ أو المكانةُ الاجتماعية، ممّا يعكسُ تصوّرًا قرآنيًّا يُعيدُ تشكيلَ مكانةِ المرأةِ عند الرجلِ بناءً على الإيمانِ والعملِ، لا التبعيّةِ والنَّسب."

"**وفي النّهايةِ**، جسّدتِ النماذج النسائيّة التي عرضَها القرآن الكريم، كـ(امرأةِ العزيز)، و(امرأتَي نوحٍ ولوطٍ)، نظرةً قرآنيّةً دقيقة، تنأى عن التحيّزِ أو التبعيّة ، لتضعَ معيارَ التّفاضلِ والكرامةِ في الإيمانِ والسّلوك، لا في النّوعِ أو القرابة."

"فقد كشفتْ هذه النماذجُ أنَّ المرأةَ الكافرةَ، وإن كانتْ زوجةَ نبيٍّ أو ذاتَ سلطان، فإنَّ منزلتَها لا تُقاسُ بالقربِ الظاهريِّ منَ الرجل، بل بموقفِها العقائديِّ والأخلاقيّ، إذْ لا تشفعُ لها علاقةُ الزواجِ ولا المكانةُ الاجتماعيّةُ إذا تجرّدتْ من الإيمان."

"وقد جاءَ عرضُ امرأةِ العزيزِ مثالًا حيًّا على امرأةٍ كافرةٍ تملكُ السّلطةَ والنفوذ، حاولتْ أن تُخضعَ يُوسُفَ عليهِ السّلامُ لرغبتِها، ولكنّها انهارتْ أمامَ قوّةِ إيمانِه وطهارتِه، فأقرّتْ بالحقّ."

"أمّا زوجتا نوحٍ ولوطٍ، فقد خانتا الرّسالةَ لا العرض، فدلّتا على كفرِهما بالموقفِ والنيّة، رغمَ كونِهما في كنفِ بيتِ النبوّة، ليبيّنَ القرآنُ أنَّ المعيارَ الأوحدَ للنّجاةِ هو الإيمانُ، لا الصُّحبةُ أو النّسب."

"وهكذا يظهرُ أنَّ المرأةَ الكافرةَ في القرآنِ لا تُعامَلُ بازدراءٍ على أساسِ كونِها أنثى، بل يُعرَضُ نموذجُها ضمنَ السّياقِ التربويّ الذي يُرادُ به تقويمُ القيمِ السّلوكيةِ والعقائديّة، سواءٌ أكانتْ هذه المرأةُ مناهضةً للحقّ، أم ذاتَ سلطانٍ تُسيءُ استخدامَ نفوذِها، ممّا يُبرزُ بوضوحٍ مكانتَها عندَ الرجلِ وفقَ المنظورِ الإيمانيّ: فإمّا أن تكونَ عنصرَ إلهامٍ وارتقاء، أو عاملَ فتنةٍ وامتحان."

وخلاصة القول هو:

- "أن القرب من الرجل الصالح (نبي أو غيره) لا يمنح المرأة منزلة عند الله إن لم يكن مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح".
- "أن المرأة – مهما بلغت من نفوذ وسلطة – قد تفشل أمام رجل ضعيف ظاهرًا، لكنه قوي بالإيمان والطهارة".
- "أن الخيانة في القرآن قد تكون خيانة في الدين والموقف من الحق، لا خيانة سلوكية فحسب، مما يوسّع من مفهوم الفساد الأخلاقي".
- "أن القرآن يُحمّل المرأة الكافرة مسؤولية فردية مستقلة، دون اعتبار لعلاقتها بالرجل، تأكيدًا على استقلالية التكاليف والمحاسبة".
- "أن المرأة الكافرة، وإن كانت مصدر فتنة، إلا أنها قد تكون أيضًا موضع عظة، حين تنهار أمام الطهر وتقر بالحقيقة، كما في قصة امرأة العزيز".
- "أن التمثيلات القرآنية لنساء كافرات تعيد بناء الوعي الاجتماعي تجاه المرأة، فلا تُقوَّم بجمالها أو نسبها أو زواجها، بل بموقعها من الحق".

المبحث الثاني: التحول لمكانة المرأة عند الرجل من التهميش إلى التكريم

أولًا: مكانة المرأة في عصور الظلام والإنصاف الرباني في ضوء القرآن الكريم.

"كانت المرأة في عصر الجهل تعاني من الأفكار القبلية والعادات السيئة ، ففي المجتمعات العربية القديمة ، نجدها وقد سُلبت من أول حقوقها وأبسطها وهي حقها في الحياة، بل كان ينظر إليها وكأنها شيئاً يجلب العار والدنس، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ﴾ [النحل: ٥٨] يقول الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ٥٩﴾ [النحل: ٥٨-٥٩] ، ورد أن أحدهم إذا أُخبِر بولادة بنت له، تغيّر لون وجهه إلى السواد، تعبيرًا عن شدة حزنه وضيقه، وقد امتلأ غيظًا وهمًّا داخليًا، مما يعكس كراهيتهم للأنثى واعتبارها مصدر عار. وهذا من أقصى مظاهر الجهل، إذ كانوا ينسبون إلى الله البنات وهم يكرهونهن لأنفسهم، فجمعوا بين سوء الفهم وظلم الفطرة (الطبرسي، ١٩٩٥، ج ٦، ص ١٦٨)، حتى وإن كان وأدها مباحاً، وكان الوأد مبرراً، فمنه وأد الفقر، ووأد العار لمجرد أنها أنثى، ووأد ميثولوجي يتعلق بأن البنت تتبع الشيطان وهي جزء منه، على اعتقادهم بأنها تحمل الشؤم والحظ السيئ، حتى كانت تُقدم قرباناً للآلهة".

"﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكوير: الآيتان ٨–٩]، أشار ابن عاشور في تفسيره:" إلى أن في الآية الكريمة؛ سؤال الموءودة يوم القيامة، وما يتبعه من عقاب لوائدها، يكون من أوائل مشاهد الحساب، تأكيدًا على فداحة هذا الجرم وظلمه البشع. وكان الوأد عادة جاهلية تقوم على دفن الطفلة حيّة، خوفًا من العار أو الفقر، حيث كان يُنظر إلى الأنثى على أنها عبء، بخلاف الذكر الذي يُعوّل عليه في الكسب والدفاع. وقد وردت صور مفزعة لهذا الفعل، منها أن الأب يُزين ابنته ثم يأخذها إلى صحراء موحشة ليرميها في بئر ويهيل عليها التراب، أو أن المرأة الحامل كانت تجهز حفرة لتسقط فيها المولودة فور ولادتها. وقد حرّم الإسلام هذا الفعل تحريمًا قاطعًا، **مما يعكس التحول القرآني في تكريم المرأة ورفض التمييز الجاهلي ضدها** وفي هذا السياق، جاء الإسلام ليحرّك القيم الإيجابية في المجتمع تجاه المرأة، فمنحها حقها في الحياة، بوصفها كائناً مساوياً للرجل في القدر والكرامة الإنسانية، إذ إن الله، خالق الأنثى، قد تكفّل برزق خلقه، ونزلت آيات تُظهر بشاعته، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا٣١﴾ [الإسراء: ٣١] (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ٣٠، ص ١٤٩) ، وكذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]

"ومن خلال تتبّع وضع المرأة الاجتماعي قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يمكن إدراك المستوى الذي رفعها إليه الإسلام، فقد كانت قسوة الجاهلية تغطي كل مشاعر الإنسان، فلا يعود يسمع نداء الضمير، ولا يشعر بوخز وجدانه، حتى إنه لا يستجيب لصراخ ابنته الصغيرة البريئة، ولا لنداء استغاثتها وهي ترى حفرتها أمامها، وتُدفع بيدِ والدها القاسية إلى أعماق الأرض".

"**أمّا عن نشأةِ ظاهرةِ الوأد**، فقد كانت قبيلةُ بني تميم أوّلَ من ارتكب هذه الجريمةَ الشنيعة، وقد نشأت فيهم كردّ فعلٍ انتقاميّ، لا عقيدةً مستقلةً في بدايتها. فقد امتنعوا عن دفعِ الجزيةِ للنعمانِ بنِ المنذر، ملكِ الحيرة، فأرسل إليهم جيشًا عظيمًا لقمع تمرّدهم، فهزمهم وسبى نساءَهم وبناتهم، وتوجّهت وفود بني تميم إلى النعمان تطلب الإفراج عن نسائهم وأطفالهم، فترك لهنّ الخيار بين العودة إلى أزواجهن أو البقاء مع من سباهن. فاختارت بعض النساء أزواجهن، غير أن إحداهن، وكانت ابنة قيس بن عاصم، آثرت البقاء مع سابيها، الأمر الذي أثار حفيظة والدها، فتوعد بعد تلك الحادثة أن يدفن كل أنثى تُولد له حيّة. ومن هنا تفشّى الوأد بين قومه، ثم انتقلت هذه العادة القاسية إلى قبائل أخرى، أخذوها بدافع الغيرة والخوف من العار، واستمرّ العمل بها لسنوات طوال." (الألوسي، ٢٠١٢، ج٣، ص٤٢–٤٣)".

"وقد عانت المرأةُ في المجتمعاتِ الأوروبيّة القديمةِ أيضًا من أشكالٍ متعدّدةٍ من الإقصاءِ والامتهان، حتى بلغ الأمرُ ببعضها إلى التحذيرِ من القربِ من النساء أو الحديثِ إليهنّ، ولو كُنّ أمّهاتٍ أو زوجاتٍ أو قريبات. وقد أشار المؤرّخ ويليام هـ. ليكي إلى هذا الواقعِ المرير، وذكر في مؤلّفه التاريخي أن بعضَ البيئاتِ كانت تعتبر الحديثَ مع النساءِ ذنبًا يُبطل الجهدَ الروحيَّ، ويفسدُ أعمالَ الإنسانِ ومقاصدَه الأخلاقية، ويدلُّ ذلك على عمقِ النظرةِ الدونيّةِ التي أحاطت بالمرأةِ في تلك الحضارات، وغيابِ أيّ تصوّرٍ إنسانيّ لمكانتها، أو إقرارٍ بدورها القيميّ والاجتماعيّ (Lecky, 1869, Vol. 2, p. 363)".

وقد بلغ هذا الاستخفاف بالمرأة ذروته في فرنسا عندما عُقد اجتماع في عام ٥٨٦م لبحث ما إذا كانت المرأة تُعدّ إنسانًا أم لا، كان هذا نص ما ذكره سان جورجي:

"Gregory tells of a council (that may or may not, have been any of the synods at Mâcon) at which the meaning of the Latin word homo was discussed. This Latin word primarily means "human being" but also "adult male "\(Gregory of Tours, n.d, I–X).

"كما نقل "غريغوري التوري" في كتابه تاريخ الفرنكيين أن بعض ممارسات المجتمع في العصور الوسطى تعكس بوضوح النظرة الدونية تجاه المرأة، إذ لم تكن تُعامل معاملة مساوية للرجل، لا في التشريع ولا في الحقوق، وقد قيّدت إنجلترا في القرن السادس عشر حق النساء بقراءة الكتاب المقدس بموجب قانون تعزيز الدين الحق لعام ١٥٤٣، حيث مُنع على معظم النساء وذوات الطبقة الدنيا، مما يعكس النظرة الدونية لكرامتهن الإنسانية (Great Britain, ١٥٤٣ ,Parliament) فسمحت للنساء النبيلات فقط بقراءته على انفراد، هذه التشريعات والحوارات تُظهِر أن المرأة كانت تُعتبر كائنًا أدنى من الرجل، وأن اعتراف كيانها الإنساني كان مشروطًا بسياقات اجتماعية محددة، وهو ما يتعارض مع المفهوم الإسلامي المتأصل في كرامة المرأة واستقلالها".

"وفي بعضِ المجتمعاتِ القديمةِ الأُخرى، كانتِ العلاقاتُ المحرَّمةُ مُنتشِرةً، مثلَ الزواجِ من الأمهاتِ أو البناتِ أو الأخواتِ، كما في بلادِ فارسَ قبلَ الإسلام، إذ كانتِ المرأةُ تُعامَل كالماءِ أو الكلامِ في الشُّيوعِ (ناصر، ١٤١٣، ص٣). وكانَ الرجلُ العربيُّ أحيانًا يتزوَّج من محارمِه ويجمعُ بين الأُختين، وقد بلغَ احتقارُ المرأةِ درجةً أنْ عُدَّتْ مصدرًا للشَّرِّ، وخاصّةً في حالِ الحَيْضِ أو بعدَ وفاةِ زوجِها، كما كانَ يُعامِلُها الهنودُ واليهود. كما كانَ يُثارُ الجدلُ حولَ حقيقةِ المرأةِ: هل هي إنسانٌ أم شيطان؟ وهل تمتلكُ روحًا أم لا؟! (ناصر، ١٤١٣، ص٥–٧)".

"لقد كانَ حالُ المرأةِ ومكانتُها عندَ الرجلِ في عصورِ ما قبلَ الإسلامِ حالًا منَ الإقصاءِ والاحتقار، حتى جاءتِ النصوصُ الربَّانيةُ لتُنصِفَ المرأةَ وتُعيدَ لها كرامتَها وموقعَها الإنسانيَّ، فتميَّزتِ الرسالةُ الخاتمةُ وكتابُ اللهِ المنزلُ على النبيِّ ***محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم*** عن نصوصِ العهدِ القديمِ، منَ التوراةِ والإنجيلِ، وعن الشرائعِ التي وَضَعها البشرُ، والتي سبقتْ اجتماعَ فرنسا وقراراتِ بريطانيا وغيرها، ممَّا أجحفَ بحقِّ المرأةِ وتعمدَ طمسَ هويتها، وبررَ تهميشَها، وأنكرَ عليها أصلَها البشريَّ. فقد كانَ الرجلُ في بعضِ المجتمعاتِ يتمتعُ بالمرأةِ ويستبيحُ ذلك ولو كانت من محارمِه، بل إنَّ اليونانَ بلغوا في احتقارِها أنْ باعوها في الأسواقِ، واستباحوا لأنفسِهم تعددَ الزوجاتِ دونَ ضابطٍ أو حدٍّ" (رضا، ١٤٠٤، ص٤٥)، "وفي قولهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣] ذكرَ الزمخشريُّ في الكشافِ أنَّ المقصودَ هو: من أصلٍ واحدٍ، وهما آدمُ وحواءُ، وقيل: المرادُ أنَّ كلَّ إنسانٍ مخلوقٌ من أبٍ وأمٍّ، فلا مَجالَ للتفاخرِ بالأنسابِ، إذ الناسُ في أصلِ الخلقةِ سواءٌ، لا تمايزَ بينهم من هذه الجهة" (الزمخشري، ١٤٠٧، ج٤، ص٣٧٤).

باختصار نجد أن مكانة المرأة عند الرجل في عصور الجاهلية تظهر من خلال النقاط التالية:

١. كانت المرأة تُحتقر وتُوأد حيّة بدافع الخوف من العار أو الفقر، وقد سجّل القرآن هذا الظلم البشع واستنكره في آيات مؤثرة، لتكون شاهداً على قسوة تلك العصور.

٢. وأكد المفسرون كابن عاشور والطبرسي أن تلك الممارسات كانت تعبيراً عن جهل وظلم اجتماعي متجذر تجاه الأنثى.

٣. جاء الإسلام فحرّم الوأد، ورفع مكانة المرأة بإقرار حقها في الحياة والكرامة، مساوية للرجل في أصل الخلق والتكليف والمسؤولية. وقد أكد القرآن أن التفاضل ليس بالجنس، بل بالتقوى والعمل الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣]

٤. وفي المجتمعات الغربية القديمة، كانت المرأة تُعامل بدونية، بل وُضِع في فرنسا موضع نقاش إن كانت تُعد إنسانًا.

٥. وفي إنجلترا نجدها قد مُنعت من قراءة الكتاب المقدس إلا ضمن طبقة محددة. كما انتشرت ممارسات محرّمة ومهينة، كزواج الأقارب، وبيع النساء في الأسواق، مما يعكس احتقاراً تاماً للمرأة وطمساً لهويتها الإنسانية.

ثانياً: تأطير مكانة المرأة عند الرجل في ضوء مبادئ المساواة والتكريم.

"من خلال النصوص القرآنية نجد ترسيخاً كاملاً لمكانة المرأة عند الرجل إذ يكون هذا التأطير مستنداً على مبدأين أساسيين؛ هما المساواة في القيم الإنسانية، والتكامل في الأدوار الوظيفية. ولقد ورد في الآيات نصاً صريحاً على وحدة الأصل الإنساني بين الجنسين في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ} – والخطاب موجّه لبني آدم – {مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} أي آدم عليه السلام، {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} وهي حواء، ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ حيث يجد آدم السكينة والأنس بها.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي حين جامعها،﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ولقد ورد في النص القرآني أساساً لوحدة الأصل الإنساني ويرسم طبيعة العِلاقة الزوجية القائمة على السكينة والتكامل (الطبرسي، ١٩٩٥، ج ٤، ص٧٨١)، ثم تتجلى فلسفة التكامل بينهما في تشبيه القرآن العِلاقة الزوجية باللباس في قوله تعالى:﴿أُهُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] **"فكانت عليكم لباسًا"**: فإن قيل: ما هو موقع قوله تعالى: :﴿ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ ؟ قيل: هو استئناف بياني يُوضح سبب الإباحة، إذ إن هذا التعبير يدلّ على شدة القرب والاختلاط بين الزوجين، بحيث يصعب على الإنسان أن يصبر عن زوجه أو يجتنبها، فكان ذلك من دواعي التيسير والرخصة في المعاشرة، وهذا التشبيه يحمل دلالات تشمل السكن النفسي، والعفة بالستر الأخلاقي، والحماية الاجتماعية، لتظهر هذه العِلاقة متضافرة، فلا غنىً لأحدهما عن الآخر". (الزمخشري،١٤٠٧، ج ١، ص ٢٢٩).

استضاءات على حقها من القرآن الكريم:

أقر القرآن للمرأة مكانتها بشخصيةً مستقلةً ومسؤوليةً متساويةً على مستوى إدارة المرأة لشؤون الحياة ، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١] يقول ابن عاشور :"وعُبّر عن العِلاقة بين المؤمنين والمؤمنات بكونهم "أولياء بعض" تنبيهاً إلى أن الرابطة التي تجمعهم هي رابطة الولاية الإيمانية، التي تقوم على التكافؤ والمساواة في الانتماء العقدي، دون تفاضلٍ مبني على التقليد أو التبعية بغير وعي أو بصيرة، فلفظ "الولاية" يوحي بالإخلاص، والتعاون، والتناصر، بخلاف ما ورد في وصف المنافقين، الذين يُفهم من السياق أن بعضهم من بعض، أي أنهم متشابهون في الصفات الذميمة والأهداف المنحرفة. وقد خُصّت صفة إقامة الصلاة بالذكر في سياق المؤمنين، تعظيماً لشأنها، وبياناً لكونها أعظم أوجه المعروف وأرسخ مظاهر الطاعة" (ابن عاشور،١٩٨٤، ج ١٠، ص ١٥١)، "وهذه الآية الكريمة تدعم مبدأ الشراكة الكاملة في إقامة المجتمع الفاضل، إذ تتساوى المرأة مع الرجل في: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي المندوب من العبادات، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بالإضافة للمسؤولية المالية".

"ثم نجد النص القرآني يرفع مكانة المرأة لتشارك الرجل في حمل الأمانة والخلافة الكونية، كما في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥] ونجد الآية الكريمة قد جاءت بوعد رباني (الذين آمنوا : ويشمل ذلك المؤمنين والمؤمنات)، والذين يعملون الصالحات وبشرى من الكريم سبحانه، ومفادها أن الله تعالى سيمنحهم مجتمعًا صالحًا يتميز بهم، فيجعلهم خلفاء في الأرض، ويمكن لهم دينهم، ويبدّل حالهم بعد الخوف إلى أمن واستقرار، فلا يخشون مكر منافق، ولا أذى كافر، ويخلصون في عبادته وحده، لا يشركون به شيئًا، وهذه الآية تؤسس لمبدأ الشراكة الوجودية في تحمل مسؤولية عمارة الأرض" (الطباطبائي، ١٤١٧ ، ج ١٥، ص ١٥) .

الخاتمة:

أهم النتائج:

مكانة المرأة في عصور الظلام قبل الإسلام:

- في الجاهلية، كانت المرأة تُحتقر وتُوأد بدافع العار، وقد استنكر القرآن هذه الممارسات وسجّلها كظلم صارخ.
- جاء الإسلام ليحرّم الوأد ويرفع مكانة المرأة، مؤكّدًا مساواتها للرجل في الخلق والتكليف، وأن التفاضل يكون بالتقوى لا بالنوع.
- أما في الحضارات الغربية القديمة، فقد عانت المرأة من دونية شديدة، وصلت إلى حد نفي إنسانيتها ومنعها من حقوقها الأساسية.

بالمقارنة بين مكانة المرأة المؤمنة والمرأة الكافرة عند الرجل في القرآن الكريم:

- إن مكانة المرأة المؤمنة تُقدَّر بمواقفها وثباتها الإيماني، لا بجنسها أو قربها من الرجل؛ فقد أبرز القرآن نساءً مؤمنات مثل مريم وامرأة فرعون، لما اتصفن به من الإيمان والصبر والصدق، وجعل منهن نماذج للرجال والنساء على السواء، بينما أكد أن القرب من الرجل الصالح لا ينفع الكافرة، كما في حال زوجتي نوح ولوط.
- المرأة المؤمنة شريكة في الرسالة والتكليف والتقدير، أما المرأة الكافرة فتُعرض كمصدر للفتنة أو العظة؛ فالقرآن كرّم المرأة المؤمنة بدورها في التربية والموقف والثبات، بينما أبرز المرأة الكافرة، كزوجة العزيز، كصاحبة فتنة، تنهار أمام الطهر، لتكون نموذجًا تحذيريًا يُظهر الانتصار الأخلاقي للرجل المؤمن.
- القرآن يعطي المرأة الكافرة مسؤولية فردية مستقلة دون تبرير أو انتقاص بسبب جنسها؛ فهي محاسبة على معتقدها وموقفها، لا على علاقتها بالرجل، على عكس المجتمعات التي تقيس المرأة بمكانتها الاجتماعية أو الزوجية، مما يدل على عدالة المنظور القرآني.
- التمييز القرآني قائم على الإيمان لا النوع أو النسب؛ إذ لم ينفع المرأة الكافرة نفوذها أو نسبها إن خانت الحق، كما لم يُنقص من قدر المرأة المؤمنة تواضع نسبها أو بعدها عن السلطة، مما يعكس منظومة معيارية أخلاقية تُقوِّم الإنسان بموقفه لا بجنسه.

المراجع العربية

١. ابن الأثير، م. ش. (١٩٧٩). *النهاية في غريب الحديث والأثر* (تح. الزاوي، الطناحي). بيروت: المكتبة العلمية.

٢. إبراهيم.م. (٢٠٢٣). دور المراة ومكانتها الاجتماعية في الاسلام وفقاً لتعاليم القرآن الكريم والسُنَّة النبويَّة. المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

٣. ابن عاشور، م. ط .(1984) .*التحرير والتنوير [تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد]* .تونس: الدار التونسية للنشر.

٤. ابن فارس، أ. ب. ف. (١٤٠٤هـ) .معجم *مقاييس اللغة* (ط. ١). قم – إيران: مكتب الإعلام الإسلامي.

٥. أبو زيد، م. (٢٠٢٢). نظرة قرآنية في ضرب الزوجة: دراسة في قضية تمييز الرجل على المرأة في القرآن الكريم .مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، ٢٨ .(1)مسترجع من https://journals.asmarya.edu.ly/jau/index.php/jau/article/view/723

٦. الاسكافي، م. أ. (١٤١٦هـ) .مجموعة *فتاوى ابن جنيد* .قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٧. الألوسي، م. ش .(2012) .*بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب* (تحقيق: محمد بهجة الأثري). دار الكتاب المصري.

٨. البحراني، يوسف بن أحمد. (١٤٠٥هـ) .*الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة* .قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٩. الثُربَاني، جهاد .(2010) .مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ (الطبعة الأولى). دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع.

١٠. الزمخشري، م. ع. (١٤٠٧هـ) .*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل* (تحقيق: محمد عليان). بيروت: دار الكتاب العربي.

١١. السعدي، ع. ن. ب. ع .(2000) .تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

١٢. السعود، أ. (٢٠٢٢). المرأة في الخطاب القرآني: مواضع ودلالات – دراسة موضوعية .مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٤ .(1)مسترجع من https://meijournals.com/ara/index.php/mejljs/article/view/8

١٣. شهوان، علي .(2006) .*العلاقة الزوجية في القرآن الكريم*)رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية

١٤. الشيرازي، ن. م. (د.ت) .الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٦. مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٥. الطباطبائي، م. ح. (١٤١٧هـ) .*الميزان في تفسير القرآن*، ج ١٠، دار إحياء الكتب العربية، ج ٣، ص ٧٦–٧٧.

١٦. الطبرسي، فَضْلُ بن الحسن .(1995) .تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن (تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٧. الطبرسي، فضل بن حسن. (١٤١٨هـ) .تفسير جوامع الجامع (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

١٨. الطوسي، أ. ج. م. ب. الحسن .(2016) .الأمالي .بيروت: المكتبة الأهلية.

١٩. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٣٨٧ش) .*المبسوط في فقه الإمامية* .المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٢٠. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤٠٧هـ) .الخلاف (ط. ١). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٢١. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤٠٧هـ) .*تهذيب الأحكام* (ط. ٤). طهران: دار الكتب الإسلامية.

٢٢. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٢٠٩هـ) .التبيان في تفسير القرآن .بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٣. القمي، ع. إ. (١٣٨٧هـ) .تفسير القمي (تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري). قم: مكتبة الهدى.

٢٤. الكاشاني، ف. (١٤١٦هـ) .*التفسير الصافي* (ط. ٢). دار المرتضى.

٢٥. الكليني، م. ي. (١٣٤٣هـ). *الكافي* (تح. م. الأخوندي). طهران: دار الكتب الإسلامية.

٢٦. المجلسي، م. ب. (١٩٨٣). *بحار الأنوار* (ط. ٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٧. ناصر، م. ح.، و درويش، خ. (١٤١٣هـ) .*المرأة بين الجاهلية والإسلام – دراسة مقارنة على ضوء الإسلام* (الطبعة الأولى). المملكة العربية السعودية: دار الرسالة.

٢٨. النجفي، م. ح. (١٣٦٧هـ). *جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام* (تحقيق: علي الآخوندي). طهران: دار الكتب الإسلامية.

References

Abu Zayd, M. (2022). A Qur'anic view on wife-beating: A study on gender distinction in the Qur'an. Al-Asmarya Islamic University Journal, 28(1). Retrieved from https://journals.asmarya.edu.ly/jau/index.php/jau/article/view/723

al-Alusi, M. Sh. (2012). Bulugh al-Arab fi Ma'rifat Ahwal al-'Arab (Ed. Muhammad Bahjat al-Athari). Dar al-Kitab al-Misri.

al-Bahrani, Y. A. (1985/1405 AH). Al-Hada'iq al-Nadira fi Ahkam al-'Itrah al-Tahira. Qom: Islamic Publishing Foundation.

Al-Iskafi, M. A. (1995/1416 AH). Majmu'at Fatawa Ibn al-Junayd. Qom: Islamic Publishing Foundation.

al-Kashani, F. (1996/1416 AH). Al-Tafsir al-Safi (2nd ed.). Dar al-Murtada.

al-Kulayni, M. Y. (1925/1343 AH). Al-Kafi (Ed. M. al-Akhundi). Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyyah.

al-Majlisi, M. B. (1983). Bihar al-Anwar (3rd ed.). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

al-Qummi, 'A. I. (1967/1387 AH). Tafsir al-Qummi (Ed. Sayyid Tayyib al-Mousawi al-Jaza'iri). Qom: Maktabat al-Huda.

al-Sa'di, A. N. B. 'A. (2000). Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan (Ed. 'Abd al-Rahman bin Ma'la al-Luwayhiq, 1st ed.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-Risalah.

al-Sa'ud, A. (2022). Women in Qur'anic Discourse: Occurrences and Semantic Fields – A Thematic Study. Journal of Humanities and Social Sciences, 4(1). Retrieved from https://meijournals.com/ara/index.php/mejljs/article/view/8

al-Shirazi, N. M. (n.d.). Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah al-Munzal, Vol. 6. Imam 'Ali School.

al-Tabarsi, F. b. al-Hasan. (1995). Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an (Ed. A Group of Scholars, 1st ed.). Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-A'lamiyy li al-Matbu'at.

al-Tabarsi, F. b. al-Hasan. (1997/1418 AH). Tafsir Jawami' al-Jami' (Ed. Islamic Publishing Foundation, 1st ed.). Qom: Islamic Publishing Foundation.

al-Tabataba'i, M. H. (1996/1417 AH). Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an, Vol. 10. Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah.

al-Turbani, J. (2010). Mi'at min 'Uzama' Ummat al-Islam ghayyaru Majra al-Tarikh (1st ed.). Dar al-Taqwa for Publishing and Distribution.

al-Tusi, A. J. M. B. al-Hasan. (2016). Al-Amali. Beirut: al-Maktabah al-Ahliyyah.

al-Tusi, M. B. al-Hasan. (1794/1209 AH). Al-Tibyan fi Tafsir al-Qur'an. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

al-Tusi, M. B. al-Hasan. (1968/1387 Sh). Al-Mabsut fi Fiqh al-Imamiyyah. al-Maktabah al-Murtadawiyyah.

al-Tusi, M. B. al-Hasan. (1987/1407 AH). Al-Khilaf (1st ed.). Qom: Islamic Publishing Foundation.

al-Tusi, M. B. al-Hasan. (1987/1407 AH). Tahdhib al-Ahkam (4th ed.). Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyyah.

al-Zamakhshari, M. A. (1986/1407 AH). Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil (Ed. Muhammad 'Alyan). Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.

Daharis, A. (٢٠٢٣). The Role and Position of Women in the Family According to Islamic Law: A

Critical Study of Contemporary Practices. ***Neolectura***, ٥(٢), .١٤٧٥

Great Britain. Parliament. (1543). An Act for the Advancement of True Religion, and for the Abolishment of the Contrary (34 & 35 Hen. VIII c. 1). In Statutes of the Realm.

Ibn ‘Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir \[Clarification of the Sound Meaning and Enlightenment of the Modern Mind in the Exegesis of the Glorious Book]. Tunis: al-Dar al-Tunisiyyah li al-Nashr.

Ibn al-Athir, M. Sh. (1979). Al-Nihaya fi Gharib al-Hadith wa al-Athar (Ed. al-Zawi & al-Tanahi). Beirut: al-Maktabah al-Ilmiyyah.

Ibn Faris, A. B. F. (1984/1404 AH). Mu’jam Maqayis al-Lughah (1st ed.). Qom, Iran: Islamic Propagation Office.

Ibrahim, M. (2023). The role and social status of women in Islam according to the teachings of the Qur’an and Sunnah. Arab Journal of Human and Social Sciences.

Lecky, W. E. H. (1869). History of European morals from Augustus to Charlemagne (Vol. 2, p. 363). D. Appleton and Company. https://oll.libertyfund.org/titles/lecky-history-of-european-morals-from-augustus-to-charlemagne-vol-2

Nasir, M. H., & Darwish, K. (1993/1413 AH). Women between Jahiliyyah and Islam – A Comparative Study in Light of Islam (1st ed.). Saudi Arabia: Dar al-Risalah.Aal-Najafi, M. H. (1948/1367 AH). ***Jawahir al-Kalam fi Sharh Sharayi‘ al-Islam*** (Ed. ‘Ali al-Akhundi). Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyyah.

Ramadhina. (٢٠٢٤). The Roles and Rights of Women in the Modern Era from an Islamic Perspective. ***Hayula***: Indonesian Journal of Multidisciplinary Islamic Studies, ٨(٢), .٢١٥

SeekersGuidance. (2023). What does “Men are the caretakers of women” (Qur’an 4:34) mean? SeekersGuidance. Retrieved from https://seekersguidance.org/answers/social-relations/what-does-men-are-the-caretakers-of-women-in-the-quran-4-34-mean

Shahwan, ‘A. (2006). The Marital Relationship in the Qur’an (Master’s thesis, Graduate School, University of Jordan).

USIU-A Digital Repository. (٢٠٢٣). Women in Islam and Human Rights in the Contemporary Age.